تحفة الآباء بما ورد في تربية الأبناء

يحيى بن سعيد آل شلوان

مصدر هذه المادة:







المقـــــدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله –وحده لا شريك له– وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله –صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فهذا الكتاب ما هو إلاّ محاولة للعودة بالتربية إلى نبعها الأصل، ومصدرها الوثيق المنزل من وحي السماء، والمقتبس من سنة رسول الإنسانية محمد –عليه الصلاة والسلام–؛ فطالما ركضنا خلف كل ناعق بالتربية الغربية، ونظرياتها المتهافتة، وطالما عكفنا على مناهجها دراسةً وتدريساً، وبحثاً ومطالعة، ونسينا أننا أمةً لا تسقي إلا من كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا تقتبس إلا من مشكاة النبوّة التي أضاءت الكون بآفاقه وأعماقه، ونسينا أو تناسينا أنّ لنا أصالتنا، وأن لنا تاريخا وأنّ لنا مجدنا المشرق الذي أقامه الإسلام، ولن يعود إلينا إلاّ إذا عُدنا إلى الإسلام كما قال الخليفة الراشد عمر بن الخطاب –رضي الله عنه–: «نحن قومٌ أعزّنا الله بالإسلام، ومهما ابتغينا العزة في غير الإسلام أذلنا الله».

وقد جمعتُ في هذا الكتاب من كنوز السنة أصولاً كبيرة الفائدة، عظيمة العائدة في تربية الأبناء، فجاءت كحبَّات اللؤلؤ المنتظمة، لتصرخ في وجه الغرب البائس، ونظرياته المهترئة وتقول له: أيُّها الغرب البائس، ما أنت إلاّ كالطفيليات على شجرة التربية..

أيُّها الغرب الحائر، دع عالم الروح، دع عالم القيم والأخلاق؛ إنها من شأننا نحن المسلمين وأما أنت فليس لك إلاّ عالم المادّة.. والآلة.. ويهرج الحياة ومتاعها الحسي الغليظ..

إن الطفولة المعذّبة على امتداد هذا العالم تحتاج –كما تحتاج الإنسانية جمعاء– إلى الإسلام وإلى قيم الإسلام، وإلى منهاج الإسلام في التربية، فهو –وحده– الذي يستطيع أن ينتشل الطفولة من الضياع، وهو –وحده– الذي بإمكانه أن ينقذ الفطرة في نفوس هؤلاء الأطفال من الحَيْرة والالتياع، ومناهجُه هي الكفيلة بأن تنشئ طفولة سويّةً وفق المنهج الربّاني.

ويا ليتنا –نحن المسلمين– ندرك هذه الحقيقة قبل غيرنا؛ فنربِّي أبناءنا على ضوء كتاب الله، ووفق سنة رسول الله –عليه الصلاة والسلام–.

إنّ هؤلاء الأطفال كالأرض الدَمِثةَ الرخيَّةِ، يُغرس بها الورد كما ينبت به الشوك.. ولكن المشكلة تكمن في مناهج التربية، وفي القائمين عليها.

وهذا الكتاب خطوة في طريقة التربية الإسلامية، وبقي في الزوايا خبايا، نسأل الله –عز وجل– أن يعين على إخراجها، وأن يوفقنا لصالح القول والعمل، وأن يهدينا سواء السبيل.

كتبه

يحيى بن سعيد آل شلوان

الحقيقة الغائبة

وصيّةُ الله للآباء سابقةٌ على وصيّة الأولاد بآبائهم، قال تعالى: + أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ _. [الإسراء: ٣١]. فمن أهمل تعليمَ ولدِهِ ما ينفعُه، وتركَه سُدًى؛ فقد أساء إليه غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادُهم من قِبَل الآباء، وإهمالهم لهم، وتركِ تعليمهم فرائض وسُننه؛ فأضاعوهم صغاراً، فلم ينفعوا بأنفسهم، ولم ينفعوا آباءهم كباراً، كما عاتب بعضُهم ولده على العقوق، فقال: يا أبت، إنّك عققتني صغيراً، فعققتُك كبيراً وأضعتني وليداً، فأضعتك شيخاً.

من كلام ابن القيم –رحمة الله عليه– «تحفة المولود» ص١٣٩.

(١) التربية مسؤولية

عن ابن عمر –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –ﷺ–: «**كلكم راع، فمسؤولٌ عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع، وهو مسؤول عنه، والرجل راعٍ على أهل بيته، وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلِها وولدِه، وهي مسؤولة عنهم، والعبد راعٍ على مال سيده، وهو مسؤولٌ عنه، ألا فكلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته**»[1].

وقفة

نعم.. التربية مسؤولية، وأيُّ مسؤولية؟!

أخي الأب.. أختي الأم.. هل وقف كلٌ منّا أمام هذه الحقيقة العظيمة: «الرجل راع على أهل بيته، وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده، وهي مسؤولة عنهم...»؟ وهل يستشعر كلٌ منّا هذه المسؤولية الجسيمة؟

لابدَّ من الوقوف بين يدي الله –عز وجل– ولابدَّ من السؤال، فهل أعددنا للسؤال جواباً؟ ثم هل أعددنا للجواب صواباً؟ وهنا تتضح المسؤولية.

كيف نحن وتربية الأبناء؟ على أيِّ نشأةٍ نشأناهم؟ وبأيِّ تربيةٍ ربيناهم؟ ولأيِّ غايةٍ أعددناهم؟

---

(1) الحديث متفق عليه –انظر: «صحيح الجامع الصغير»: (٤٥٦٩).

لابدَّ من مراجعة حساباتنا في تربية أبنائنا، وتصحيح المسار، والعودة بالتربية إلى نهجها الأصيل، وأسلوبها الجميل المستمدّ من كتاب الله، وسنّةِ رسوله –عليه الصلاة والسلام–، وعلينا أن نضع مقاييس الطاعة والمعصية، والحلال والحرام، والخطأ والصواب، والمعروف والمنكر، وما يوافق روح الإسلام وما يضادُّها في تربيتنا لأبنائنا، إلى جانب مقاييس العاطفة، والنظر إلى جانب مقاييس العاطفة، والنظر إلى عنصري الزمان والمكان، وتغيرّات الأحوال..

ليس صحيحاً ألاّ نفهم من التربية إلاّ تغذية البدن، ورعاية الصحة، أو حمل العصا، وإصدار الأوامر والنواهي، بعيداً عن الضوابط الشرعيَّة، والسنن المرعيّة.

فلنتق الله في هذه الفِطَر السليمة، والأنفس الزكية، وقد ولاّنا الله أمرها، ولنتذكر –دائما وأبداً– أننا مسؤولون!

(٢) مِنْ هُنَا نَبْدَأ..

قال رسول الله– ﷺ –: «**تخيّروا لنُطَفِكم، فانكحوا الأكفاء، وأنكِحُوا إليهم**»[١].

وقفة

اختيار الزوجة.. هو الخطوة الأولى في طريق التربية الطويل..

---

(١) «سلسلة الأحاديث الصحيحة«: ٣/٥٦– الحديث (١٠٦٧)، و«صحيح الجامع«: (٢٩٢٨).

وهذا هو توجيه رسولنا الحبيب -عليه الصلاة والسلام-: «**تخيروا لنطفكم**»، ليدرك المسلم قبل أن يختار الزوجة التي يريد أن ينكحها -أنه سيختار أمّاً لأولاده، ومحضناً لذريّته، وحجراً لفلذات فؤاده؛ فإن أحسن الاختيار فقد أحسن إلى ذريّته، وحريٌّ بأولاده أن ينشؤوا على الصلاح، وإن أساء الاختيار، فقد أساء إلى ذريته، وظلمها وهي لا تزال نطفة في صلبه؛ حين وضعها في غير محلها.. «وإنك لا تجني من الشوك العنب»!

ولكن.. ما هي هذه الكفاءة المذكورة في الحديث؟ أهي كفاءة الحسب والنسب؟ أم كفاءة المال والجمال؟ يقول الشيخ الألباني -حفظه الله-: «يجب أن يُعلم أن الكفاءة إنما هي في الخُلُق والدين فقط»[١]، وفي ذلك يقول الرسول -عليه الصلاة والسلام-: «**تُنكح المرأة لأربع لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك**»[٢]، وفي الجانب الآخر يوصي نبينا -عليه الصلاة والسلام- الزوجة وأولياء الزوجة بقوله: «**إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوّجوه إن لا تفعلوا تكن فتنةٌ في الأرض وفساد عريض**»[٣].

فهذا هو الزواج الإسلامي السعيد: زوجٌ صالح، وزوجة صالحة، فما أجمل أن تفتح عيونُ الأبناء على أب تقيٍّ نقيّ، صالحٍ

(١) «السلسلة الصحيحة«: (٣/٥٧).

(٢) «صحيح الجامع«: (٣٠٠٣).

(٣) «صحيح الجامع«: (٢٧٠).

مُصلحٍ، عابدٍ زاهد، يتتبع مرضاة الله، ويتجنب معاصيه،ويرجو رحمة الله، ويخشى عقابه، ذي دين قويم، وخلق كريم، وقلبٍ سليم، حَسَن العشرة، ليِّن الجانب، دَمِث الأخلاق، ويهتدي بهدي الرسول -ﷺ- في جليل الأمور وصغيرها.

وكذلك ما أجمل أن تتفتح عيون الأبناء على أمٍّ ذاكرةٍ شاكرة، صائمةٍ قائمة، مطيعةٍ لزوجها محسنةٍ في تربية أبنائها، قائمة بها أوجب الله عليا، قد أدركت تمام الإدراك مسؤولياتها في تربية أبنائها، وتنشئهم النشأة الإسلامية الكريمة؛ ليكونوا في الغد المشرق حملةً لراية الكفاح، وقادةً للمجد، ومشاعل للنور والهدى..؛ فتقرُّ بهم عين أمتهم، ويكتب لها العزُّ والتمكين.

هذا هو دورك أيتها الأمُ المسلمة.. فهل تعين؟

(٣) إذا أراد أن يأتي أهله..

عن ابن عباس –رضي الله عنهما- قال: قال النبيُّ -ﷺ-: **«لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال: بسم الله، اللهمّ جنّبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا؛ فإنّه إن قضي بينهما ولد من ذلك لم يضرّه الشيطان أبداً»**[1].

وقفة

سبحان الله! ما أعظم اهتمام الإسلام بالأبناء!

---

(1) رواه البخاري، ومسلم، وغيرهما: انظر «فتح الباري-(٥١٦٥)، «صحيح الجامع«: (٥٢٤١).

حتى في هذه اللحظة، لحظة الجماع، وفوران الشهوة..، ينبغي على الأب أن يتذكّر إنه قد يُرزق من هذا الجماع ولدٌ، له حقوق على والده، ومن أعظم هذه الحقوق، وأخطرها قدراً، حمايةُ الابن من الشيطان، ووقايته من كيده؛ حتى وإن كان هذا الابن مستوراً في رحم الغيب..

فهل يتذكّر الأبُ المسلم هذا الأمر، ويوطّن نفسه أن يقول عند كلِّ جماع: «**اللهمّ جنبنا الشيطان، وجنِّب الشيطان ما رزقتنا**»؛ لعله إن رزق بولد من ذلك «**لم يضره الشيطان أبدا**».

وقد سلك أئمتنا في قوله: «**لم يضره الشيطان أبدا**» مسالك متعددة، «فقيل: المعنى لم يُسلَّط عليه من أجل بركة التسمية، بل يكون من جملة العباد الذين قيل فيهم: + إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ _، وقيل: المراد لم يصرعه، وقيل: لم يضرّه في بدنه،وقيل: لم يفتنه عن دينه إلى الكفر، وليس المراد عصمته منه عن المعصية، وقيل غير ذلك..

وفي الحديث من الفوائد أيضاً: «استحباب التسمية، والدعاء، والمحافظة على ذلك حتى في حالة الملاذّ كالوقاع، وفيه الاعتصام بذكر الله ودعائه من الشيطان،والتبرّك باسمه، والاستعاذة به من جميع الأسواء، وفيه الاستشعار بأنه الميُسر لذلك العمل، والمعين عليه، وفيه إشارة إلى أن الشيطان ملازمٌ لابن آدم لا ينطرد عنه إلاّ إذا ذكر الله...» (١).

(١) فتح الباري: ٢٨٦/١٠- بشيءٍ من التصرّف.

(٤) أو ولد صالح: يدعو له..

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- قال: «**إذا مات الإنسان، انقطع عمله إلاّ من ثلاث: صدقةٍ جاريةٍ، أو علمٍ يُنتفعُ به، أو ولدٍ صالحٍ: يدعو له**»[1].

وقفه

هذا الحديث أصلٌ في حثِّ الآباء والأمهات على السعي الجاد، والعمل الدائب في إصلاح الأبناء، وتنشئتهم النشأة الإسلامية القويمة؛ لعلمهم أنّ «للولد الصالح» بركةً تعود على والديه في حياتهما، وبعد موتهما، وفي الآخرة يوم البعث والجزاء.

فهو في الحياة الدنيا بار بوالديه، مطيعٌ لهما، قائمٌ على شؤونهما، وبعد أن تنقضي آجالهما وتنقطع أعمالهما، ويصبحا تحت أطباق الثرى ويحال بينهما وبين العمل وكسب الثواب، يأتي هذا الولد الصالح؛ فيدعو لوالديه، ويستغفر لهما، ويصل عهدَهما من بعدهما؛ فلا يُحرم هذان الأبوان من الأجر، وهما في ظلمة القبر!

وعندما يقوم الحساب، ويُفضي كل إنسانٍ إلى ما قدّم وأخّر؛ تأتي بركةُ «الولد الصالح» -أيضاً- ففي الحديث عن النبيِّ -ﷺ- قال: «**إنّ العبد لتُرفعُ له الدرجة، فيقول: أي ربِّ أنّي لي**

---

(1) رواه مسلم، انظر: «جامع الأصول»: (١١/١٨٠)، و «صحيح الجامع»: (٧٩٣).

هذا؟! فيقول: باستغفار ولدك لك من بعدك»[١].

فمنفعة الولد الصالح تعودُ أوّلاً وآخراً على والديه، وذلـــك إن أحسنا إليه في التربية؛ فإن الله سيُحسن إليهما في المثوبة، كيـــف لا؟! وهو القائل: **+هَـــلْ جَـــزَاءُ الْإِحْسَـــانِ إِلَّـــا الْإِحْسَـــانُ_** [الرحمن: ٦٠].

(٥) كُنَّ له سِتراً من النار..

عن عائشة –رضي الله عنها– قالت: دخلت عليَّ امـــرأة، ومعها ابنتان لها؛ تسأل، فلم تجد عندي غير تمرةٍ واحدة، فأعطتُهـــا إيّاها، فقسمتها بين ابنتيها، و لم تأكل منها، ثم قامت فخرجـــت، فدخل النبيِّ –ﷺ– فأخبرته، فقال النبي –ﷺ–: «**من ابتُلي من هذه البنات بشيء؛ فأحسن إليهنَّ؛ كنَّ له ستراً من النار»**[٢].

وعن أنس بن مالك –رضي الله عنه– أن النبيَّ –ﷺ– قال: «**من عال جارتين حتى تبلغا، جاء يوم القيامة أنا وهـــو (وضـــمّ أصابعه)»** [٣].

وقفـــــــة

هذان الحديثان –وغيرهما كثير– مما يدلّ على فضل البنات،

---

(١) «صحيح الجامع»: (١٦١٧).

(٢) رواه البخاري، ومسلم، والترمذي، انظر «جامع الأصول»: (١/١١٤). «وصحيح الجامع»: (٥٩٣٢).

(٣) رواه مسلم، والترمذي: «جامع الأصول»: (١/٤١٢)، وهو في «صحيح الجامع»: (٦٣٩١).

والتأكيد على حقوقهنّ، والندب إلى الإحسان إليهنّ بشتّى صور الإحسان: من الإحسان إليهنّ في التربية، وفي النفقة، وفي المعاملة، ونحو ذلك..

فإن التسخّط بالإناث، والتبرّم منهنّ، وكراهية وجودهن من أخلاق الجاهلية، الذين ذمّهم الله –تعالى– في قوله: +**وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ**_. [النحل: ٥٨، ٥٩].

وهذه اللوثة الجاهلية لا تزال عالقةً في نفوس كثير من المسلمين، وكأهم لا يقرؤون قول الله –تعالى–: +**مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ**_. [الشورى: ٤٩،٥٠].

"وقد قال –تعالى– في حقِّ النساء: +**إِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا**_. [النساء: ١٩]، وهكذا البنات –أيضاً– قد يكون للعبد فيهنّ خيرٌ في الدنيا والآخرة..."[1].؛ ففضلهنّ في الدنيا مشهور لا يُنكر مما يمتزن به من حسن الصُحبة، وكمال البر، ولين الجانب..، وأمّا فضلُهن في الآخرة فقد أجراه الله –عز وجل– على لسان نبيِّه محمد –ﷺ– إذ يقول: « **من ابتلي من هذه البنات بشيءٍ؛ فأحسن إليهنّ، كُنَّ له**

(١) تحفة المودود ١٥.

ستراً من النار»، بل إن الأمر فوق ذلك؛ إذ يكون المحسنُ إليهنّ رفيقاً لخير البشر –عليه الصلاة والسلام– في جنّة الخلد، والملك الذي لا يبلى، كما يظهر في الحديث.

الله أكبر! الستْر من النار، ومرافقة سيد الأبرار في خير دار.. جزاء الإحسان إلى البنات، فهل تفرط في هذا؟.

(٦) أحب الأسَمَاء..

عن ابن عمر –رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله –ﷺ–: «**أحب الأسماء إلى الله: عبد الله، وعبد الرحمن**»[١].

وقفة

هذا الحديث أصلٌ في طلب الاسم الحسن للمولود؛ «فإن الاسم عنوان المسمّى، ودليل عليه، وضرورة للتفاهم معه، ومنه، وإليه، وهو للمولود زينةً ووعاء، وشعار يدعى به في الآخرة والأولى، وتنويهٌ بالدين، وإشعارٌ بأنّه من أهله..، ولهذا صار من يملك حقَّ التسمية (الأب) مأسوراً في قالب الشرعية، ولسانها العربي المبين؛ حتى لا يجني على مولوده باسم يشينُه»[٢].

وتأثير الاسم على المسمّى لا يخفى، فقد قيل: «**لكل مسمّى من اسمه نصيب**» ولهذا نرى –كما قال القيم رحمه الله–: أكثر السفلة أسماؤهم تناسُبهم، وأكثر الشرفاء والعلية أسماؤهم تناسبهم.

---

(١) رواه مسلم، وغيره: «صحيح الجامع»: (١٦١).

(٢) تسمية المولود –للشيخ الفاضل بكر أبو زيد: ص٥.

فيا من رزقه ربُّه بمولود، اتق الله في هذا المولود، ولا تجـني عليه في مستهل حياته باسم غير مشروع، أو مبتورٍ عن لغة العرب الخالدة، أو مُستهجنٍ في العقل والذوق، بل إن الواجب عليـك أن تربط هذا المولود بأسماء السلف الصالح، وما نطق به اللسان العربي؛ لِتَبُثَّ في نفس مولودك معاني العزة والكرامة، والطُهر والصلاح..؛ فينشأ حلقة صالحة في سلسلة المجد الإسلامي.

وقد ذكر شيخنا الفاضل بكر بن عبد الله أبو زيد في كتابه «تسمية المولود» أصولاً مهمّة في التسمية، ينبغي علـى كـل أب مسلم يرجو الله والدار الآخرة أن يقف عنـدها قبـل أن يسـمّي مولوده؛ ليعبد الله على بصيرة، وإليك ملّخص هذه الأصول:

١- وقت التسمية: جاءت السنّة عن النبي -ﷺ- في ذلـك على ثلاثة وجوه: تسميته يوم سابعة، تسميته يوم ولادته، تسـميته إلى ثلاثة أيّامٍ من ولادته، وهذا اختلاف تنّوع يدل على أن في الأمر سعة، والحمد لله رب العالمين.

٢- التسمية حق للأب: لا خلاف في أن الأب أحق بتسمية المولود، وليس للأمِّ حق منازعته، وبناءً على ذلك، فعلـى الوالـدة عدم المشادّة والمنازعة، وفي التشاور ميدان فسيح للتراضي والأُلفة، وتوثيق حبال الصلة بينهما.

٣- المولود يُنسب لأبيه لا إلى أمِّه.

٤- حسن الاختيار: يجب على الأب اختيار الاسم الحسن في اللفظ والمعنى في قالب النظر الشرعي، واللسان العربي.

٥- مراتب الأسماء استحباباً وجوازاً، وهي خمس مراتب:

ا- استحباب التسمية بهذين الاسمين: عبد الله، وعبد الرحمن، وهما أحب الأسماء إلى الله -تعالى-.

ب- استحباب التسمية بالتعبيد لأيٍّ من أسماء الله الحسنى، نحو: عبد العزيز، عبد الملك..

ج- التسمية بأسماء أنبياء الله ورُسِله، نحو: إبراهيم، يوسف، محمد -عليهم الصلاة والسلام..

د- التسمية بأسماء الصالحين من المسلمين، وصحابة رسول الله -ﷺ- هم رأس الصالحين في هذه الأمة، وزوجاته - عليه الصلاة والسلام- هُنَّ رأس الصالحات في هذه الأمة.

هـ- غير ذلك من الأسماء المستوفية لشرط التسمية الآتية:

٦- شروط التسمية: أن يكون الاسم عربياً، أن يكون حسن المبنى والمعنى لغةً وشرعاً، ومراعاة قلّة حروف الاسم ما أمكن، مراعاة خفّة النطق به على الألسن..

٧- الأسماء المحرمّة: كلُّ اسم معبّد لغير الله -تعالى- نحو: عبد الرسول، عبد الحسين، ومن هذا الغلط في التعبيد لأسماء يُظنُّ أنها من أسماء الله -تعالى- وليست كذلك، مثل: عبد المقصود، عبد الستار وتحرم التسمية بأسماء الله- تعالى- مثل: الرحمن، الباري،..، وتحرم التسمية بالأسماء الأعجمية المولّدة للكافرين، نحو؛ بطرس، جرجس، ديانا، سوزان...، وتحرم التسمية بأسماء الأصنام المعبودة

من دون الله، نحو: اللات، هبل، إساف...، وتحرم التسمية بالأسماء الأعجميّة التي لا تتسع لها لغة العرب، ومنها: ناريمان، شيريهان، شرين، جيهان...، وتحرم التسمية بنحو: ملك الأملاك، سلطان السلاطين، سيّد الناس، ست النساء...، وتحرم التسمية بأسماء الشياطين، نحو: إبليس، خنزب، الولهان..

٨- **الأسماء المكروهة:** تكره التسمية بها تنفر منه القلوب؛ لمعانيها، أو ألفاظها، أو لما تثيره من سخرية وإحراج لأصحابها، نحو: حرب، مُرّة، فاضح، شليويح، فدغوش... ويكره التسمّي بأسماء فيها معانٍ رخوة شهوانية، وهذا في تسمية البنات كثير، نحو: أحلام، عبير، نهاد، شادية، فاتن...، ويكره تعمدُّ التسمي بأسماء الفسّاق الماجنين من الممثلين،والمطربين، وعمّار خشبات المسارح باللهو الباطل، وتكره التسمية بأسماء فيها معانٍ تدلّ على الإثم والمعصية، كمثل: ظالم، سرّاق، خائن...، وتكره التسمية بأسماء الفراعنة والجبابرة، نحو: فرعون، قارون...، ويكره التسّمي بأسماء الحيوانات المشهورة بالصفات المُستهجنة، نحو: حَنَش، كلب، كليب، حِمار...، وتكره التسمية بكل اسم مضاف إلى لفظ (الدين)، نحو: نور الدين، سيف الدين، ونور الإسلام بنحوها، وتكره التسمية بالأسماء المركّبة، مثل: محمد أحمد، محمد سعيد،..

وكره جماعة التسمّي بأسماء الملائكة، وأسماء سور القرآن..[1].

وعلى من ابتلي بمثل هذه الأسماء التي تنكرها الشريعة، ويأباها

(١) راجع هذه الأصول بالتفصيل في كتاب «تسمية المولود»؛ فإنه لا يُستغنى عنه.

الذوق العربي أن يبادر إلى تغييرها إلى أسماء حسنة، ومقبولةٍ شـــرعاً ولغةً، والله الموفق لكل خير.

(٧) ليس مُنّا..

قال رسول الله -ﷺ-: «**ليس منّا من لم يرحم صغيرنا، ويوقّر كبيرنا**»[1].

وعن أبي هريرة -«-: قال: قبّل رسول الله -ﷺ- الحسنَ بن علي، وعنده الأقرع بن حابس التميمي، فقال: إنّ لي عشرةً مـــن الولد، ما قبلت منهم أحداً، فنظر إليه رسول الله -ﷺ- ثمّ قـــال: «**من لا يَرحم لا يُرحم**».

وقفـــــة

الرحمة بالصغار حق واجب، ومن لا يرحم الصغير فلـــس على طريقة المسلمين، وليس متّبِعًا لسنة سيد المرسلين -عليه الصلاة والسلام-؛ فهذه النفوس البريئة، والأجسام الغضّة الطريّة، والعقول الساذجة، أحوج ما تكون إلى اليد الحانية، والعين الراعية، والقبلـــة الضافية، والكلمة الطيبة، والمعاملة الحسنة.

إن أباً قاسي القلب، نافر الطباع، خَشِن المعاملة مع أطفاله - أب قد تغيّبت معاني الأُبوة عن ذهنِه، بل تجرّدت معاني الإنسانية من نفسه.

وكذلك الحال بالنسبة للأم التي لا تـــرحم صـــغارها، ولا

(1) «السلسلة الصحيحة»: (٢١٩٦)، «صحيح الجامع الصغير»: (٥٤٤٥).

تعطف عليهم، ولا تلين في أيديهم، ولا تتودّدُ إليهم؛ فإن هذه الأم قد انتكست فطرتها، وتجرّدت من مشاعر الأمومة الحانية، ولك أن تتخيّل.. أماً بلا مشاعر.. بلا رحمة.. بلا عطف وشفقة على صغارها؛ فكم تجني هذه الأم على نفسها، وكم تجني على أطفالها، لو كانت تعقل وتعي.

فمن الجدير بالآباء والأمهات أن يملؤوا قلوب أبنائهم حباً لهم، وقرباً منهم، بالرحمة وحسن المعاملة؛ حتى لا يذهب هؤلاء الأبناء ليبحثوا عن الحبِّ من مكان آخر، ولنا في رسول الله -ﷺ- أسوة حسنة، فقد كان عليه الصلاة والسلام: «**أرحم الناس بالعيال والصبيان**»[1].

(٨) إذّا غربتِ الشمسُ..

قال رسول الله -ﷺ-: «**إذا عربت الشمس، فكفّوا صبيانكم؛ فإنها ساعة ينتشر فيها الشياطين**»[2].

وقفة

هذا الحديث من كمال عناية الإسلام بالأطفال؛ فإن الإسلام يُعنى بحفظ الأطفال من الشرور الباطنة الخفيّة كما يُعنى بحفظهم من الشرور الظاهرة الجليّة.

وهذا توجيه نبويٌّ كريم للآباء بحبس أبنائهم، ومنعهم من

---

(١) «صحيح الجامع الصغير»: (٤٧٩٧).

(٢) «سلسلة الأحاديث الصحيحة»: (١٣٦٦)، «صحيح الجامع»: (٦٩٢).

الخروج عندما يقبل الليل بظلامه؛ وذلك لأن هذه الساعة «**ساعة ينتشر فيها الشياطين**».

ولكن.. ما الخطورة في ذلك؟

تأتي الإجابة من حديث آخر، بقول -عليه الصلاة والسلام -: «... **فإن للجنّ انتشاراً وخطفة**..». [صحيح الجامع الصغير: ٣٢٥٦]، وهذا واقع مشاهد، وهو أن كثيراً ممن يصابون بمسِّ الجَانِّ، أو يتعرضون لاختطافهم، إنّما يحدث لهم ذلك في هذه الساعة الأولى من الليل، فهل يعي ذلك الذين أهملوا أبناءهم، وعروضهم للأخطار من حيث يشعرون أو لا يشعرون؟.

ولكن.. هل يستمر هذا المنع طوال الليل؟

يقول الرسول الكريم -عليه الصلاة والسلام- في حديث آخر: «.. **فإذا ذهبت ساعة من العشاء فخلّوهم**.. ». [صحيح الجامع الصغير: ٧٦٤]، ولكن مادامت العين رقيبة، والمتابعة موجودة؛ فإنه إن يسلموا من شياطين الجن، فقد لا يسلمون من شياطين الإنس الذين يحاولون جرَّهم إلى الهاوية، وسحبهم إلى مزالق الانحراف.

(٩) مُلاعَبَةُ الأطفَال..

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: «كان رسول الله -ﷺ- ليُدلع لسانَه للحسن بن علي؛ فيرى الصبيُّ حُمرة لسانه؛

فيبهش له»[1].

عن أنس – رضي الله عنه – قال: «كان رسول الله -ﷺ- يلاعب زينب بنت أمِّ سلمة، وهو يقول: يازُوينب، يازُوينب، مراراً..»[2].

عن محمود بن الربيع – رضي الله عنه – قال: عقلتُ من رسول الله -ﷺ- مجّةً مّجها في وجهي، من دلوٍ، من بئرٍ كانت في دارنا، وأنا ابن خمس سنين[3].

وقفة

ملاعبة الأطفال.. هي الطريق الأسرع إلى قلوبهم.

فهذا رسول الإنسانية -ﷺ- لم يهمل هذا الجانب العظيم؛ لأنه يدرك أن عالم الطفولة جزءٌ من لا يُستهان به من عالم الإنسانية، وأن لهذا العالم خصائصه، وطبائعه التي ينبغي مراعاتها، وأن نحسن التعامل معها.

انظر إلى الأحاديث السابقة، تجده -ﷺ- يخرج لسانه، ويلاعب باللفظ « **يازوينب.. يازوينب**»، ويأخذ دفعة من الماء «**مجّة**» ويرميها من فيه في وجه الصبي..

أفعال يسيرة لا تطلب مجهوداً، ولا تستهلك وقتاً، ولكن لها

---

(١) « سلسلة الأحاديث الصحيحة»: (٧٠).

(٢) «سلسلة الأحاديث الصحيحة»: (٢١٤١)، «صحيح الجامع»: (٥٠٢٥).

(٣) أخرجه البخاري، ومسلم: «جامع الأصول»: (٢٠/٨).

آثارها في نفوس الأطفال، ولها معانيها عندهم، ولها أثرها العظيم في التربية، إذ يستطيع الآباء بهذه الملاعبة المحبّبة، وبعد ذلك يأتي دور التوجيه الذي سيجد له آذاناً مصغية، وقلوباً واعية.

علينا أن ندرك أن حاجة الطفل إلى القبلة الصافية، والابتسامة الحانية، والمداعبة اللطيفة —أكبر من حاجته على أنواع الطعام والشراب، ومختلف أشكال الثياب، وغير ذلك الأمور المادّية التي لا قيمة لها كبيرةً في نفس الطفل.

فيا أيها الآباء، لاعبوا أبناءكم؛ تكسبوا قلوبهم..

(١٠) يَا أَبَا عُمَير..

عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: كان رسولُ الله –ﷺ– يدخل علينا، ولي أخٌ صغير، يكّنى أبا عُمير، وكان له نُغَرٌ يلعب به فمات، فدخل النبيِّ –ﷺ– ذات يوم، فرآه حزيناً، فقال: «**ما شأنُه؟**» قالوا: مات نُغَرُه، فقال: «**يا أبا عمير، ما فعل النُغَير؟**»[1].

وقفة

هذا الحديث وإن كان يُلحق «بملاعبة الأطفال» إلاّ أنّ فيه فوائد أخرى، بل قد ذكر العلماء لهذا الحديث أكثر من ستين فائدة، وقد استوعبها الحافظ ابن حجر في كتابه المبارك «فتح المجيد»

(1) أخرجه البخاري ومسلم، وأبو داود، والترمذي: انظر «جامع الأصول»: (٢٥٨/١١)، «صحيح الجامع»: (٧٨٣٠).

فراجعها إن شئت.

ويهمّنا هنا من هذه الفوائد فائدتان:

١-مؤاساة الصغير، والسؤال عن حاله، والتلطف به، ومشاركته في أحزانه بالكلم الطيبة والابتسامة الحانية، والمداعبة اللطيفة، وإن كانت أحزانه لا تتجاوز موت عصفور يلعب به، أو انكسار لعبة يحبُّها..؛ فإنّ لها في نفس الطفل معاني كبيرة، وإن بدت في أعيننا صغيرة المعنى.

٢-جواز تكنية الصغير، فهذا الطفل الصغير الذي يلعب بالعصفور يُكنّ «أبا عمير» ويخاطبه رسول الله -ﷺ- بهذه الكنية، وهذه من عادات العرب الحسنة؛ فإن الكُنية للصغير تسمو به، وترتفع بعقله، وتُشعره بأن له مكانةً.

«قال العلماء: كانوا يكنّون الصبيَّ تفاؤلاً بأنه سيعيش حتى يولد له، وللأمن من التلقيب؛ لأن الغالب أن من يذكر شخصاً فيعظمه أن لا يذكره باسمه الخاص به، فإذا كانت له كُنيه أُمِنَ من تلقيبه، ولهذا قال قائلهم: بادروا أبناءكم بالكُنى قبل أن تغلب عليها الألقاب...»[1].

وكم من لقب سبّب لصاحبه عُقداً نفسيّة، أفسدت عليه عيشه، وانحرفت به عن النهج المستقيم، والحياة السوية.. فهل نكنّي أطفالنا؟

---

(1) فتح الباري: ١٢/٢٢٥.

(١١) فَكَرِهتُ أن أعجله..

روى بعض الصحابة، فقال:

«خرج علينا رسول الله -ﷺ- في إحدى صلاتي العشي [الظهر أو العصر]، وهو حامل حسناً أو حسيناً، فتقدّم النبي -ﷺ- فوضعه عند قدمه اليمنى، ثمّ كبر للصلاة،فصلى، فسجد بين ظهراني صلاته سجدةً أطالها، قال: فرفعت رأسي [من بين الناس] فإذا الصبيّ على ظهر رسول الله -ﷺ- وهو ساجد، فرجعت إلى سجودي، فلما قضى رسولُ الله -ﷺ- الصلاة، قال الناس: يا رسول الله، إنّك سجدت بين ظهراني صلاتك [هذه] سجدة أطلتها، حتى ظننا أنه قد حدث أمر، أو أنه يوحى إليك قال: «**كل ذلك لم يكن ولكنّ ابني ارتحلني**[1]**؛ فكرهت أن أعجله؛ حتى يقضي حاجته**».

وقفة

الله أكبر! ما أعظمك مربياً رسولَ الله..!

يصلي -عليه الصلاة والسلام- بأصحابه، فيسجد بهم سجدة طويلة حتى ظنوا أنه قد حدث أمر، أو أن الوحي يتنزل، وكل ذلك من أجل أن طفلاً صغيراً راكبٌ على الظهر الشريف، وكره المربيّ الرحيم -عليه الصلاة والسلام- أن يرفع رأسه؛ حتى

(١) أي اتخذني راحلة بالركوب على ظهري، (فكرهت أن أعجله): من التعجيل أو الإعجال.

يقضي هذا الطفل حاجته،وينزل باختياره...! حقاً.. هكذا تكـــون التربية، وهكذا يفعل المُربُون..

إن الحيلولة دون الطفل وحاجاته لها آثارها المريرة في حياته عاجلاً أو آجلاً، ومن أخطر هذه الآثار شعور الطفل بالحرمان، وأنه يعيش في سياج منيع من الأوامر والنواهي التي تلغـــي شخصـــيته، وتقيّد حريّته، فيتولّد عن ذلك الكبت النفسي المؤدي إلى الانفجار.

نخطئ كثيراً عندما نحول بين أطفالنا وبين أكل يشتهونه، أو نمنعهم من ممارسة لعبةٍ يحبونها، أو نقف لهم في طريق رغبةٍ يســـعون في تحقيقها..، نخطئ في ذلك عندما نستخدم معهم أســـلوب المنـــع الجاف، أو الحرمان القاتل، ولو أننا لجأنا إلى أســـلوب الإقنـــاع؛ لنجحنا في صرفهم عن كثير مما لا نراه، مع الحفاظ على نفســـياتهم من الشعور بالحرمان المرير.

علينا أن ندرك أن للطفل رغباته التي لابدَّ من إشباعها، وله طبائعه التي يتصرّف في نطاقها، وله مقاييسه الـــتي تختلـــف عـــن مقاييسنا، فإذا أردنا أن نمنعه من شيءٍ نتوقع ضـــرره، فبالإقنـــاع، والموعظة الحسنة، وإلاّ فلندعه يمضي على سجيّتيه ما دام في الأمـــرِ مجالٌ للاحتمال..

(١٢) أتأذن لي؟

عن سهل بن سعد – رضي الله عنه –: أنّ رســـول الله – ﷺ– أتى بشراب، فشرب منه، وعن يمينه غلام– وفي رواية: أصغر القوم– وعن يساره الأشياخ، فقال للغلام: «**أتأذن لي أن أعطـــي**

هؤلاء؟» فقال الغلام: والله، يا رسول الله، لا أوثر بنصيبي منك أحداً، فتلَّهُ رسول الله -ﷺ- في يده» (فتلّه): أي ألقاه[1].

وقفة

بحث علماؤنا الكرام في هذا الحديث فوائده الفقهيّة، وأطنبوا في ذلك[2]، لكن القليل منهم من وقع على فائدة هذا الحديث التربوية، وهي «ضرورة احترام الصغير وعدم انتهاك حقوقه بُحجة صغر سنه».

فهذا غلام صغير، يجلس عن يمين الرسول -ﷺ-، بينما يجلس الأشياخ، وكبار السن، وأهل الفضل والسابقة في الإسلام عن يساره، ويؤتى رسول الله -ﷺ- بشراب؛ فيشرب منه، ويريد أن يسقي من معه، ومن سنته -عليه الصلاة والسلام- تقديم الأيمن ولو كان مفضولاً بالنسبة إلى من على اليسار، فيستأذن النبي -عليه الصلاة والسلام- الغلام في أن يتنازل عن حق من حقوقه المشروعة إلى من هم أكبر منه، فيقول له بكل لطف: «**أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟**».

الله أكبر! أي تكريم بعد هذا التكريم؟، وأيُ احترام لحقوق الأطفال كمثل هذا الاحترام؟.. إنها التربية النبوية، وكفى.

إن طفلاً يُشعره من حوله بالاحترام، وأنّ له حقوقه التي لا تهضم -لحريٌّ به-والله- يرتحل بمداركه وعقله عن النظرة

(1) أخرجه البخاري، ومسلم: «جامع الأصول»: (٥/٨٤).
(2) انظر: فتح الباري: ٢١٨/١١.

الطفولية الساذجة، وأن يتجاوز بفكره حجمَ سنِّه، وها أنت قد رأيت هذا الغلام، وقد أيقن أنه لو سمح لرسول الله -ﷺ- بذلك؛ لفاته شرف الشرب بعد رسول الله -ﷺ- فيقول بكل شجاعةٍ وحرصٍ على الخير: «والله يا رسول الله، لا أوثر بنصيبي منك أحداً».

ما الذي حلَّق بهذا الطفل الصغير إلى هذا المعنى السامي؟! إنها التربية السويّة التي تعطيه احترامه، وتحفظ له حقوقه، وتعامله بلُطفٍ وتوقير.

(١٣) ... فيُسَلم عليهم..

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال:

«كان رسول الله -ﷺ- يمرُّ بالغلمان فيسلم عليهم، ويدعو لهم بالبركة».

وقفـــة

إلقاء السلام على الأطفال فيه إظهار للسنّة، وتكريمٌ للأطفال، وتربية لهم على هذا الخُلُق النبيل الذي يشيع المحبة، ويُؤلف القلوب، وينقيها من البغضاء والشحناء، ويخلصها من العداوة والأحقاد.

ما أجمل أن يتربّى أبناؤنا على هذا الخلق الكريم! يسلّم الأب في بيته على أطفاله، ويُسلم المعلم على تلاميذه، وإذا مرَّ المسلم في طريقه بهؤلاء الصغار ألقى عليهم السلام اقتداءً بسنة النبي -ﷺ- وتربيةً لهم على هذه الشعيرة العظيمة، التي هي من خصائص الأمة المحمدية.

ماذا سيخسر أحدنا إذا سلّم على الأطفال؟ وهو يقرأ ويعي حديث رسولنا الحبيب -عليه الصلاة والسلام-: «**إن موجبات المغفرة بذل السلام، وحسن الكلام**»[١].

وقوله -عليه الصلاة والسلام-: «**السلام اسم من أسماء الله، وضعه الله في الأرض، فأفشوه بينكم؛ فإن الرجل المسلم إذا مرَّ بقومٍ فسلّم عليهم، فردُّوا السلام؛ كان له عليهم فضلُ درجةٍ بتذكيره إيّاهم السلام، فإن لم يردّوا عليه ردّ عليه من هو خير منهم وأطيب**»[٢].

فهذا هو السلام: من موجبات المغفرة، ومن أسباب الرفعة في الدرجات، وإن لم يحصل الرّد من المُسَلَّم عليه، فالرد مضمون من الملائكة المقربين، فما أحوجنا إلى ألاّ ندع فرصةً للسلام تفوتنا: تسلِّم على الكبير والصغير، وعلى من عرفنا ومن لم نعرف، اقتداءً بالسنة، ورغبةً في الأجر وعلوِّ المنزلة [٣].

ثمَّ إنّه قد ثبت بالتجربة أن جُلَّ الأطفال يردُّون السلام على من يُلقيه عليه؛ فقلوبهم أقرب إلى الفطرة، ولم تتلّوث بعد بلوثة الكبر التي تسرّبت إلى نفوس كثيرٍ منّا، فهل نهتبل هذه الفرصة، ونمدَّ بالسلام جسور المحبة بيننا وبين أطفالنا، وعندها سيكون للتربية أثرها، وللتوجيه ثماره.. ألا ما أقسانا إذا لم نفعل ذلك!

---

(١) «صحيح الجامع»: ٢٢٣٢.

(٢) «صحيح الجامع»: ٣٦٩٧.

(٣) انظر في فضل السلام وآدابه «جامع الأصول» ٥٩٣/٦.

(١٤) يَا غُلام..

عن عمر بن أبي سلمة –رضي الله عنهما– قال: كنت غلاماً في حَجْر رسول الله –ﷺ– وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسولُ الله –ﷺ–: «**يا غلام، سَمِّ الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك**»، فما زالت تلك طعمتي بعد [1].

وقفـــــة

من فوائد هذا الحديث الفقهيّة: وجوب التسّمية على الطعام، ووجوب الأكل باليمين، وأن يأكل الأكل مما يليه إذا كان الطعام نوعاً واحداً، وأمّا إذا اختلفت الأنواع فله أن يتناول من جمعيها [فتح الباري: ١٠/٦٥٣].

وأمّا الفوائد التربوية في هذا الحديث، فتتلخص في النقاط التالية:

١– ضرورة التوجيه للصغار، وألاّ نهمل هذا الجانب، متعلّلين بصغر سنهم، وضعف عقولهم، وعدم قدرتهم على الاستيعاب، وهذا خطأ يقع فيه أكثر الآباء؛ حيث يهملون أبناءهم؛ فلا يعلمونهم الفرائض، ولا السُنن، والآداب، ولا يعودونهم على مكارم الأخلاق؛ فإذا خاطبت أحدهم في ذلك، ونصحته بتوجيه ابنه، أجاب بكل برود: ما زال صغيراً.. عندما يكبر إن شاء الله...،

---

(1) أخرجه البخاري ومسلم: «جامع الأصول» (٧/٣٨٨)، وانظر «صحيح الجامع الصغير»: (٢٥١).

وهكذا ينشأ الطفل ساذجاً، وقد لا يجدي معه التوجيه عند الكبر.

إنّ مَنْ له خبرة في توجيه الأطفال يجد فيهم الاستجابة السريعة، والاستيعاب الفائق، ولكن..

٢- يجب أن يكون التوجيه بالأسلوب الحسن، والكلمة الطيبة، والمعاملة التي تلائم الأطفال، وتراعي خصائصهم؛ فهـذا المربّـي الكريم –عليه الصلاة والسلام- حينما رأى يد عمر بن أبي سـلمة تطيش في الصحفة، لم ينتهره، و لم يزجره، وإنما أدرك أن هذا غلام صغير يحتاج إلى التعليم قبل العقاب، فخاطبه بكل لطـف: «**يـا غلام**..» وكلمة «**يا غلام**..» لها ظلالها التربويّة التي جعلت هـذا الغلام يستمع لما يلقيه عليه رسول الله -ﷺ- ويتأثر بـه، ويعمـل بمقتضاه.

٣- «العلم في الصغر كالنقش في الحجر»، وما نبذره في نفوس هؤلاء الصغار ينمو ويزدهر، ويبقى أثره في نفوسهم؛ لأنه كما قال الشاعر: «صادف قلباً خاليا فتمكّنا»، ألم تلحظ إلى عمر بـن أبي سلمة وهو يتحدث عن أثر ذلك التوجيه النّبوي الكـريم: «فمـا زالت تلك طِعمتي بعد»، لم يخالف هذا التوجيه مدى عمره؛ لأنـه وُجِّه صغيراً، وبأسلوب حسن.. وهكذا تكون التربية.

(١٥) تَعَال أعُطِيكَ..

عن عبد الله بن عامر، أنّه قال: «أتى رسول الله -ﷺ- في بيتنا، وأنا صبي، قال: فذهبت أخرج؛ لألعب، فقالت أمي: يا عبد الله، تعال أعطيك، فقال رسول الله: وما أردت أنْ تعطيه؟ قالـت:

أعطيه تمراً، فقال رسول الله -ﷺ-: «**أما إنّكِ لو لم تعطيه شيئاً كُتِبَت عليكِ كذبة**»[١].

وقفـــــة

في هذا الحديث الشريف يبرز لنا مطلبان مهمّان في طريق التربية:

المطلب الأول: أن على المربّي سواءٌ كان أباً، أو أماً، أو معلماً -أن يكون قدوةً حسنة لأبنائه، وأن يكون دائماً يقظ القلب، حسن التصرفّ؛ لأنه تحت عين النقد، ويُنظر إليه دائماً من الأبناء نظرة الاحترام، ويؤخذ عنه كلُ قولٍ وعمل على أنّه الحقُّ الذي لا مرية فيه، والصواب الذي لا شك فيٍ؛ فإذا كان المربي بعيداً عن النهج السديد، ومنحرفاً عن الأمر الرشيد، أو كان خطؤهُ أكثر من صوابه، فماذا تنتظر من الذين تحت يده إلا أنهم سيسلكون نفس الطريق، ويتطّبعون بنفس الطباع.

فهل نُصلح أحوالنا، ونربي أنفسنا قبل أن نربي أطفالنا؟ إننا حينما نفعل ذلك سنوفّر على أنفسنا الكثير من العناد في التربية والتوجيه؛ لأننا سنكون بالنسبة لأطفالنا كالشمس التي يستدفئون بها دون أن تكلِّف هي نفسها مشقّة النزول إليهم.. ألا يا ليتنا ندرك هذه القضية.

المطلب الثاني: يجب أن نراعي حدود الله -عز وجل- في معاملتنا مع الصغار كما نراعيها في معاملتنا مع الكبار؛ فهذا رسولنا

(١) «سلسة الأحاديث الصحيحة»: (٧٤٨)، «صحيح الجامع»: (١٣١٩).

الحبيب –عليه الصلاة والسلام- يلفت أنظارنا إلى هذه القضيّة الخطيرة، فيقول للمرأة التي كانت تستدرج ولدها بتمرة كانت في كذبة».!

فسبحان الله! كيف جمع هذا الحديث بين القدوة والتقوى؛ فإذا كان الإنسان منّا قدوة حسنةً، وأسوةً طيبةً لأبنائه، فما ذاك إلاً لأّنه قد اتقى الله –عز وجل- وأصلح ما بينه وبين الله، وزَمّ نفسه بزمام الخشية والمراقبة، وإلاّ فكيف يصبحُ قدوةً صالحة لهم؟!

(١٦) ثلاث وصايا..

عن عبد الله بن عمرو بن العاص –رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «**مروا أولادكم بالصلاة، وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها، وهم أبناء عشر، وفرِّقوا بينهم في المضاجع**»[1].

وقفة

في هذا الحديث النبويِّ ثلاث وصايا جديرة بالاهتمام:

الوصية الأولى: «مروا أولادكم بالصلاة، وهم أبناء سَبع».

وإنما خصّ النبيُّ -ﷺ- الصلاة دون غيرها من الفرائض بأمر الأبناء بها عند بلوغهم لسن السابعة؛ لعِظم أمر الصلاة، وجليل قدرها، ولا ريب فهي عمود الإسلام، وهي أول ما يُحاسب عليه

(١) رواه أبو داود، وغيره، انظر «جامع الأصول»: (١٨٧/٥)، «صحيح الجامع»: (٥٨٦٨).

العبد؛ فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله، ولذلك أُمِرنا بتربية الأبناء عليها من الصغر، وتعويدهم على أدائها في مقتبل العمر؛ حتى إذا كبروا كان لها في نفوسهم مكانة لا تتزعزع فيحفظونها، ومن حفظ الصلاة كان لما سواها أحفظ.

هل تظّنون أن هؤلاء الأبناء الذين نشاهدهم في المساجد يعبثون بالصلاة، ويخلون بها، أو يتخلفون عنها، وقد جاوزوا سن البلوغ، هي تظّنون أن هؤلاء قد رُبُّوا على الصلاة في الصغر؟ كلا والله، إن آباءهم في غفلةٍ عن هذا، وسوف يُسألون..

وهذه الوصية تابعة لسابقتها في الاهتمام بأمر الصلاة، وتربية الأبناء عليها، واستخدام الشدّة مع الأبناء الذين يهتمون بالصلاة، أو يقصِّرون في أدائها؛ حتى يدركوا عِظَمَ أمرها، وجليل قدرها، ولكن في هذه الوصية لفتة جميلة، وهي أن الضرب إنما أُبيح في شأن الصلاة، وفي سن العاشرة وما بعدها، فهل يعي هذا الذين يضربون أبناءهم قبل ذلك السن، وفي أمور تافهة، وغالباً ما تكون دنيويةً حقيرة لا تستحق الذكر؟!

الوصية الثالثة: «**وفرقوا بينهم في المضاجع**».

أي فرِّقوا بين الذكور والإناث من الأبناء إذا بلغوا العاشرة؛ وذلك لقربهم من سن البلوغ، وفي ذلك تربيةٌ لهم على الحشمة والعفاف، ومنعٌ جنس أن يتشبّه بطباع الجنس الآخر، وهذا جديرٌ بالتأمل..

(١٧) عَلقوا السوُطَ..

عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «**علّقوا السوط حيثُ يراهُ أهلُ البيت؛ فإنه لهم أدب**»[١].

وقفة

لا تستغني التربية في طريقها الطويل عن الترهيب؛ إذ لابدَّ أن يكون في البيت سُلطةٌ تُهاب، وغالباً ما تكون هذه السُلطة من جانب الأب، وأمّا الأم فلينُ الجانب أنسبُ لها، وأصلح لحالها مع أبنائها.

وهذا أسلوب من أساليب التربية النبويةّ، وهو أن يُعلقَ السوطُ حيث يراه الأبناء؛ فإنه أدبٌ لهم، وردعٌ لهم إذا همّوا بها لا يصلُ، وكأن هذا السوط يقول لهم بلسان الحال: إذا نزلت؛ فسيحدث لكم مالا يخطر ببال.. فيرتدع من الأبناء مَنْ لا يتأتى إلاّ بالرهبة، وخوف العقوبة، دون أن يكون المربيّ بحاجة إلى إنزال السوط من مكانه؛ فإن نظرةً واحدةً من الأبناء إلى هذا السوط المعلق، تجعلهم يعملون له ألف حساب؛ فيسيرون في الطريق الصحيح، ويتربّون على مكارم الأخلاق.

نخطئ كثيراً عندما نتوعّد الأبناء، ونتهددهم على ما يفعلون من أخطاء، ثم إذا أردنا أن نُنزل بهم العقوبة، أخذتنا بهم الرأفة، فعاقبناهم عقاباً يسيراً، وضربناهم ضرباً مدللاً، وهذا الأسلوب

---

(١) «سلسلة الأحاديث الصحيحة»: «صحيح الجامع»: (٤٠٢٢).

الساذج إذا تكرر؛ جعل الأبناء يستخفّون بالعقوبة، ويتمـــادون في الخطأ؛ لأهم قد أدركوا أن العقاب سيكون ســـهلاً، وبالإمكـــان احتماله!!

إن التربية طائرٌ له جناحان: الترغيب والترهيب، وبهذه التربيـــة الحكيمة ربّى الله —عز وجل– عباده؛ فرغبهم بالجنـــة، ورهبـــهم بالنار، فمن لا يأتي بهذا؛ فعلّه أن يأتي بذاك، وما أجمل مـــا قالـــه الشاعر العربي القديم:

قســـا ليزدجـــروا ومـــن يـــكُ حازمـــاً
فلـــيقسُ –أحيانـــاً– علـــى مـــن يـــرحمُ

(١٨) اعدلوا بين أولادِكم..

وقال عليه الصلاة والسلام:

«**اعدلوا بين أولادكم، اعدلوا بين أولادكم، اعـــدلوا بـــين أولادكم**»[1].

عن النعمان بن بشير —رضي الله عنهما– أن أباه أتى به رسول الله –ﷺ– فقال: إنّي نحلت ابني هذا غلاماً كان لي فقال رسول الله –ﷺ–: «**أكلَّ ولدك نحلته مثل هذا**»؟ فقال: لا، قال رسول الله –ﷺ–: «**فأرجعه**»[2].

(1) «سلسلة الأحاديث الصحيحة»: (١٢٤٠).

(2) متفق عليه، وانظر «رياض الصالحين» بتحقيق الشيخ الألباني ص ٥٩٩، الحديث ١٧٨٢، «فتح الباري»: باب الهبة للولد– الحديث ٢٥٨٦، وباب الأشهاد في الهبة – الحديث ٢٥٨٧.

وفي رواية: فقال رسول الله -ﷺ-: «**أفعلت هـذا بولـدك كلِّهم**»؟. قال: لا، قال: «**اتقوا الله، واعـدلوا في أولادكـم**»، فرجع أبي، فردَّ تلك الصدقة.

وفي رواية: قال رسول الله -ﷺ-: «**يا بشير، ألك ولد سوى هذا**»؟ فقال: لا، قال: «**فلا تُشهدني إذاً؛ فإني لا أشـهد علـى جَوْر**».

وفي رواية: «**أشْهِد على هذا غيري**»، ثم قال: «**أيسـرُّك أن يكونوا إليك في البرِّ سواء**»؟ قال: بلى، قال: «**فلا إذاً**».

وقفة

الحياة الاجتماعية السويّة لا تقوم إلاَّ إذا أُشيع العدلُ في أهلها، وكذلك هي حياة الأسرة ينبغي أن تقوم على هذا الأساس المـتين، فعلى الآباء أن يعدلوا بين أولادهم، ويساووا فيما بينهم؛ حـتى لا تدبَّ الشحناء والعداوة في نفوس الأبناء، وحتى لا يُضـطَّر بعـض الأبناء إلى عقوق الآباء؛ لما يرون من الأثرة، ولما يشعرون به مـن الظلم، وعدم المساواة.

ففي هذين الحديثين ندٌّ إلى التأليف بين الإخوة، وترك ما يوقع بينهم الشحناء، أو يورث العقوق للآباء.

يجب أن يشعر أبناؤنا بأننا ننظر إليهم بعينٍ واحـدة، ونحـبُّهم بقلبٍ واحد، وأنهم عندنا سواسية، فينشؤون متحابين مترابطين فيما بينهم، بررةً غير عاقين لآبائهم.

وهذا يستلزم منّا أن نعدل بينهم في العطيّة، وفي القبلة والابتسامة، وحسن المعاملة، ما دامت الأمور تجري في نصابها، وأمّا إذا كانوا في معرض المنافسة، فيُعامل كلٌ بحسبه..

(١٩) لا تدعوا على أولادكم..

عن جابر –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –ﷺ–: «**لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم؛ لا توفقوا من الله ساعة يُسأل فيها عطاءٌ؛ فيستجيب لكم**»[١].

وقفـــة

الدعاء سلاح المؤمن، وخيرُ ما يستعان به –بعد الله– في أمور الدين والدنيا. والمربيّ الناصح هو من يستعين بهذا السلاح الفعّال في تربية أبنائه؛ فيدعو لهم بالصلاح، ويدعو لهم بخيري الدنيا والآخرة، ولا يملُّ من الدعاءِ لهم في صلاته وسجوده، وفي صيامه وعند فطره، وفي حضره وسفره، وفي كل أحواله وأزمانه، فهو يستعين بالله في تربيته لأبنائه، ومن استعان بالله أعانه، ومن توكّل على الله كفاه.

وللوالدين دعوةٌ لا تُرد، وفي ذلك يقول رسول الله –ﷺ–: «**ثلاثة تُستجاب دعوتهم: الوالد، والمسافر، والمظلوم**»[٢]، وحريٌّ

---

(١) رواه مسلم، وغيره: «صحيح الجامع»: (٧٢٦٧)، «رياض الصالحين– بتحقيق الشيخ الألباني»: (ص ٥١٠).

(٢) «صحيح الجامع»: (٣٠٤٩).

بالآباء أن يجعلوا هذه الدعوة المستجابة في صـالح أبنـائهم، وأن يوظّفوها في تربيتهم.

ألا ما أقسانا! وما أغبانا! حين ندعو على أولادنا، وحين نكونُ عونًا للشيطان عليهم، وحين نهلكهم بدعائنا، وحين نستخدم هذا السلاح الفعّال في إفسادهم، «جاء رجلٌ إلى عبد الله بن المبـارك، فشكا إليه بعض ولده، فقال له عبد الله بن المبارك: هـل دعـوت عليه؟ قال: نعم، قال: أنت أفسدته»[1].

ولذلك يأتي هذا الحديث الشريف يحذّر الآباء والأمهات مـن الدعاء على الأبناء؛ حتى لا يوافق من الله ساعةً يُسأل فيها عطـاءُ؛ فيُستجاب لهم، فيهلك الأبناء، ويُحلُّ بهم البلاء، ويزدادون عقوقـاً إلى عقوقهم، وفساداً إلى فسادهم.

فإذا كان دعاؤنا على أبنائنا لا يُصلح لهم حالاً، بل يزيـدهم سوءاً ووبالاً، أليس من الأجدر بنا أن ندعو لهـم لا علـيهم، وأن نسأل الله لهم صلاح الأحوال؛ فنكسب بذلك برَّهم وصـلاحهم، ونسلمُ من عقوقهم وشرهم، وهذا ما يريده كلٌ منّا من أبنائه.

وختاماً:

أسأل الله –عز وجل– أن يصلح لنا الأبنـاء، وأن يوفقنـا إلى حسن تربتهم، وأن يقرَّ أعيينا بهم، وأن يجعلهم عوناً لنا في الـدنيا،

---

(1) إحياء علوم الدين: ٢/٢٩٤

وذُخراً لنا في الآخرة، وأن يجعلهم بعد موتنا من العمل الصالح الذي لا ينقطع.

كما أسأله –عز وجل– أن يجعل هذا الكتاب نبراساً يضيء للآباء والأمهات ، طريقهم في تربية الأبناء، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يحقق منه المأمول؛ إنه طريقهم في تربية الأبناء، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يحقق منه المأمول؛ إنه –سبحانه– أكرم مسؤول، وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.



الفهـــــرس